مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية
Eissn :2600-6863 Issn : 2353-0502
المجلد 12/ العـدد02 (2024)، ص: 91-102

الخطاب الإعلامي لقيم العولمة بين التضليل والحقيقة

Media discourse on the values of globalization between disinformation and truth

أ .د عبد القادر تومي [1]

[1] بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

Toumikader@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2024/04/29 تاريخ القبول: 2024/06/02 تاريخ النشر: 2024/06/07

ملخص:

تتناول المقالة كما يشير عنوانها الأدوار الجديدة التي يلعبها إعلام اليوم في سبيل التسويق للقيم التي أتت بها العولمة، حيث استطاعت وسائل الاتصال بتطوراتها المذهلة أن تحدث تغييرات جوهرية في حياة الإنسان، في مختلف مجالات الحياة. وميادينها الثقافية والاجتماعية ، وبدت أثار هذه التغيرات على مستوى الجماعات والأفراد واضحة ليس على البعد المحلي فحسب بل تعدى ذلك إلى البعد العالمي.

كلمات مفتاحية: الاعلام ، العولمة، العالم ،الأدوار

Abstract:

The article, as its title indicates, deals with the new roles played by today's media in promoting the values brought by globalization, where the means of communication with their amazing developments have been able to bring about fundamental changes in human life, in various areas of life. and its cultural and social fields, and the effects of these changes at the level of

groups and individuals were evident not only on the local dimension but also on the global dimension

Keywords: roles the global media globalization

***المؤلف المرسل عبد القادر تومي**

1 مقدمة

.

إن الوجه الأهم لعالم اليوم هو الوجه التقني الذي تصنعه ثورة الاتصالات والتكنولوجيا، و يمكن تعريف هذه التقانة بأنها:"مجموعة المعارف التي تمكن من إنتاج مواد او اختراع منتجات جديدة" **(Jacques PERRIN 1984, P : 16)**

و بالمقابل يمكن تعريف تكنولوجيا الاتصال على أنها "مجموع التقنيات أو الأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة، التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون أو المحتوى الذي يراد توصيله، من خلال عملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو التنظيمي أو الجمعي أو الوسطي، .... و قد تكون تلك التقنيات يدوية أو آلية أو الكترونية أو كهربائية، حسب رحلة التطور التاريخي لوسائل الاتصال و المجالات التي يشملها التطور"(**(محي محمد، ص: 26)**

.

لقد مكنت التكنولوجيا المجتمعات الإنسانية المعاصرة من إرساء شبكة اتصال عالمية لتبادل المعلومات على نطاق كوني بواسطة شبكة الانترنت التي عملت بدورها على تكريس مقولة " **القرية الالكترونية الشاملة**". ويبشر بعض الباحثين اليوم في مجال الحضارة الالكترونية بولادة الفضاء المعلوماتي الجديد ومن بين هؤلاء " **جون بري بارلو**" أحد ابرز علماء المستقبليات الذي أصدر إعلانا باستقلال المجال السبرنتيقيموجها لحكومات العالم. **(السيد ولد أباه، ص: 10.)**

عنوان المقال: الخطاب الإعلامي لقيم العولمة بين التضليل والحقيقة

وقد بلغت الأهمية للتطور المعلوماتي في مجال الاتصال والمعلوماتية الى درجة أن أصبحت فيها هذه التكنولوجيا توظف بفعالية وأهمية في الشؤون الإستراتيجية والعسكرية للدول الكبرى ، فكثير من الزعماء الأمريكيين يعتبرون التحكم في العالم والسيطرة عليه إنما يقومان على التفوق المعلوماتي والاتصالي .

وقد كتب " **دافيد رويتكوف**" في هذا الصدد مقالا بعنوان " في مديح الإمبريالية الثقافية" يتنبأ فيه بقيام إمبراطورية أمريكية تقوم على أساس الاتصال وهو يعبر عن هذه الوضعية بقوله :" بالنسبة للولايات المتحدة يتعين أن يكون الهدف المركزي لسياستها الخارجية في عصر الإعلام، هو تحقيق الفوز في معركة تدفق المعلومات على النطاق العالمي"(

وفي السياق نفسه اجرى كل من " **جوزيف نياي**" مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق و "**وليام أونس**" نائب رئيس اللجنة المشتركة لقادة أركان الجيش الأمريكي سابقا، دراسة هامة يؤكدان فيها قوة الولايات المتحدة الأمريكية المتفوقة في المجال المعلوماتي "، فالولايات المتحدة كما يرى الباحثان مؤهلة أكثر من غيرها من البلدان لتسيير الثورة المعلوماتية عن طريق الإعلام" **Nye S. Joseph, Owens William A Foreign affairs, mars-avril 1996, pp.20-. 36**.

ويبين الباحثان أن التكنولوجيا المعاصرة ساعدت على تطوير أنظمة حديثة تعمل على التحكم في مختلف الميادين بما في ذلك ميدان التجسس على العالم ومن أمثلة ذلك النظام الالكتروني الذي ابتكرته الولايات المتحدة للمراقبة))**عفر حسن عتريسي 2001 ص:21)**

وهو نظام قادر على التقاط كل المكالمات الهاتفية المدنية والعسكرية، وعلى مراقبة كل العمليات الجارية في مجال شبكات التواصل الاجتماعي والانترنت، والبريد الالكتروني، و يستهدف هذا البرنامج أسرار الدول والأشخاص والشركات، وقد اعترفت الولايات المتحدة (بوجود هذا النظام وطمأنت الدول الأوربية بان نظام المراقبة يبوظف في

التجسس على الدول المعادية فقط وهو تابع لوكالة الأمن القومي، ويعمل بواسطة الأقمار الصناعية وكابلات بحرية.

فالعولمة كظاهرة تاريخية لم تظهر فجأة بل هي نتاج تطور تاريخي بعيد الأمد وقد نتجت عن تبلور أفكار فلسفية سابقة واستطاعت اليوم أن ترتقي إلى درجة تتفق فيها مع التغيرات الحادثة في هذا العصر، و هي تستند بالتالي إلى منهج معين تخاطب به الناس، وتستخدم وسائل معينة لكي تحقق أهدافها، و هذه العناصر مجتمعة تشكل المصادر الفلسفية لخطاب العولمة .

خطاب الذي يسوقه الإعلام في زمن العولمة

تتبنى العولمة الخطاب الذي يسوقه الإعلام الجديد وشعاره المعروف اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس، وهو خطاب مملوء بالتناقضات التي تتطلبها لغة المصالح كما تريدها الدول الكبرى المهيمنة خطابا يروج للفكر اللبرالي باعتباره مذهبا رأسماليا، ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي و السياسي، حيث ينظر إلى الفرد بوصفه المحور الرئيسي لفكرة الليبرالية، لان الحرية وفق هذه الرؤية ترتبط بالفرد وتلك هي الفكرة المركزية التي عرفت في النصف الثاني من القرن العشرين **Philippe Raymand, et Stéphane Rials, 2003 p :393**

حيث يكون التركيز على الفرد والفردانية التي تعني تحرر الإنسان من كل سلطان خارجي.

فالليبرالية مذهبا اقتصاديا وسياسيا وهو يشكل في جوهره النظام الحيوي الذي تستند إليه العولمة.

فاللبرالية تقوم في جوهرها على مرتكز الحرية وهو يتضمن فكرة فرض قانون العقل و فعاليته ، و هذا يعني أن غياب العوائق الخارجية غير كاف لوجود الحرية ، وهذا يعني أن خطاب العولمة يتبنى في جوهره الدعوة للقطيعة المستمرة مع الماضي ، ومع ما ينطوي عليه من ممارسات سلفية كما يدعو إلى التمرد على القيم والأخلاق والأعراف

عنوان المقال: الخطاب الإعلامي لقيم العولمة بين التضليل والحقيقة

التقليدية ، اجتماعية كانت أم نظماً وضعية، وهذا يعني أن هذا الخطاب يتبنى الضرورة الاستهلاكية والتركيز على الشهوات، وعلى معالم الفطرة البشرية، والسعي في مادية بحتة لا يحدها حد، بل الإيغال في الغريزية بديلاً عن النشاط المعرفي بصورة مطلقة.

يحاول هذا الخطاب فرض الكونية من منظور العولمة على تصغير العالم في صورة القرية الكونية ، وهو ما يعني نفي الدولة، وتأسيس عالم بدون دولة أو وطن أو أمة، فالعالم الذي يريده هذا الخطاب هو عالم المؤسسات والشبكات العالمية. أما الوطن أو الأمة فهو الفضاء المعلوماتي والمواقع التي تضعها شبكات الاتصال.

ويضاف الى ما تقدم أن الإعلام المعاصر يسوق خطابا ايديولوجيا يعبر عن هيمنة القوى الكبرى على بقية العالم، متخذا من شعار البقاء للأقوى منهجا للتعبير عن سياسة هذا التفوق. وتأتي سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا لتصب في هذا السياق اعتمادا على الدور الذي تقوم به أكاديميا من خلال مفكرين وكتاب أمثال فرنسيس فوكوياما ، وميلتون فريدمان، وإعلاميا من خلال دور الإعلام الكبرى (صحافة، تلفزيون وسينما) بالإضافة الى دور الانترنت في الترويج للإنتاج الأمريكي عبر مختلف الصفحات الإعلامية. نستخلص أن الخطاب العولمى ينظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي ويتعامل معه بعيداً عن ميوله الروحية والأخلاقية، داعيا إلى الفصل بين الاقتصاد وبين الأخلاق( ).

القيم الجديدة للاعلام في زمن العولمة:

لقد روج الإعلام العولمي لقيم أخلاقية جديدة تختلف عن القيم الأخلاقية التي تشترك فيها الإنسانية، وأعطت بهذه القيم المبررات الفلسفية لسيادة مبادئها ويمكننا أن نتناول هذه القيم وفقا لعدة مجالات أهمها

1- **في مجال الاقتصاد:**

لا يمكن جوهريا اختزال الاقتصاد الى ما هو "مادي" فحسب كما يرى بعض

المفكرين. "اذ لا الربحية ولا الاستهلاك غايات في حد ذاتها كما أن دعمها ليس الهدف النهائي لآلية العرض والطلب فالاقتصاد يخدم كل أنواع القيم في حياة الإنسان" وهدفه النهائي هو تطوير الإنسانية المتكامل. وإذا ما لم يستهدف الاقتصاد هذا التطوير، فانه يدمر نفسه على الاجل الطويل. إن سوءات الاقتصاد هنا ليست في طبيعة الاقتصاد ذاته ولا ترتبط بالنمو الذي يحتاجه الانسان في تطوير حياته وتحسين نوعيتها. ولكن عندما يؤدي هذه النمو في ظل العولمة، إلى هيمنة الشركات الكبرى على المقدرات المالية العالمية، والى إفقار لمعظم سكان هذا الكوكب فإنها تصبح لا أخلاقية وعندما تدفع بالمزيد من البشر الى الشارع، حيث لا عمل ولا مأوى، ولا طعام فإنها تكون أيضا لا أخلاقية. "فهذا التقديس لانتشار العلاقات السلعية، الذي يشكل ماهية نظامنا الاقتصادي، أي البحث الدائم عن الربح.. لا يتوافق مع القواعد الاجتماعية، فجني المال من اجل المال.. يخالف الخير العام.

2- **في مجال السياسة:**

يواجه "المجتمع الدولي" مشكلة التلازم المفترض بين الأخلاق والسياسة الذي دعت إليه فلسفة **روسو وكانط**. إن النموذج الذي يقدمه المجتمع العالمي سواء من خلال مؤسساته الدولية او شركاته الكبرى، أو دوله المهيمنة إلى شعوب العالم الأخرى، تبين لنا اليوم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كيف يتنكر لهذا النموذج لمبادئ حقوق الإنسان، وكيف تنقلب الدول على عهودها، ومواثيقها ، وكيف تحتمي خلف قوتها ، وكيف تغض البصر عن الظلم هنا وتدعي الدفاع عنه هناك.. وهكذا الى السلوكيات السياسية التي يلخصها شعار "الكيل بمكيالين" التي تتذّمر منها دول عربية وإسلامية كثيرة عندما تريد توصيف السياسة الامريكية في الشرق الأوسط. ولن اضرب الأمثلة عن فقدان هذه الأخلاقيات في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، فالوقائع أكثر من أن تحصى حول الانحراف الأخلاقي للأمم المتحدة وللولايات المتحدة، ولمعظم العالم الغربي حول هذه القضية في تبرير الجرائم الإسرائيلية، وفي

غض النظر عما يقوم به الجيش الإسرائيلي وفي تحميل الطرف الفلسطيني دائما" مسؤولية ما يجري من تعطيل التفاوض.

3 – في المجال الاجتماعي:

أصبحت ظاهرة الفساد منذ العقد الماضي من أهم الظواهر الخطيرة في المجتمعات الإنسانية المعاصرة وبغض النظر عن السبب الرئيس وراء شيوع الظاهرة الذي يرجعه البعض إلى ضعف الوازع الأخلاقي العام، ويرجعه آخرون إلى تراجع شرعية الدولة كتجسيد للمصلحة العامة بعد ما فقدت سيطرتها الكلية في زمن العولمة، وذوبان القيم الجماعية التي ينشدها الأفراد في البحث عن الفائدة والمصالح الأنانية والخاصة.

وقد بيّنت بعض الدراسات في هذا الصدد أن المجتمعات الإنسانية الحديثة تشهد تراجعا" أخلاقيا" كبيرا يشجع على الفساد واتساع مجالاته. وابرز مظاهر هذا التدهور ومخاطره يتمثل في تضخم ظاهرة الفردية بأشكالها كافة، والتداعيات التي نجمت عنها من الانكفاء على الحياة الخاصة والابتعاد عن الآخر، وعدم الاهتمام بالتضامن الاجتماعي والاستغراق في الذاتية، وما يبنى على هذه الفردية من أفكار أو فلسفات تقوم على نفي أي حق للمجتمع في التدخل في شؤون الفرد وفي حياته الخاصة، و تكمن المفارقة هنا في أن العولمة وحدت العالم من جهة فجعلته قرية كونية صغيرة، أي مكانا صغيرا من دون حواجز بسبب الدور الذي لعبته وسائل الاتصال في التعرف إلى العالم وشعوبه عن كثب. ومن ثم دفعت هذه العولمة الناس، الى العزلة والانطواء بسبب تضخم الفردية التي اشرنا إليها.

4- **في مجال الثقافة:** إن المفاهيم والقيم التي تبثها الثقافة ليست مباشرة في معظم الأحيان، وإنما تحصل بالتراكم البطيء والهادئ بحيث يشعر الإنسان بمرور الوقت ان مفاهيمه قد تبدلت وان القيم التي يحملها تجاه قضايا كثيرة قد تغيرت. فثورة الاتصالات التي جعلت للتجارة بعدها العالمي هي التي حملت القيم الجديدة

والعادات والأفكار، وهي التي ساهمت في تغيير عادات الناس وأذواقهم واتجاهاتهم. إن التدهور الأخلاقي يبرز جليا" في المجال الثقافي على مستوى السلوك والقيم، ويحتل "الثنائي" (الجنس والعنف) مساحة ثابتة في كل وسائل الاتصال القديمة والحديثة بأشكالها المختلفة، وحذّر الكثير من الخبراء من أخطارها، وتصاعدت الشكوى من أثارها في أنحاء العالم كافة، بما فيها دول الشمال نفسه. فإذا تأملنا المخاطر الناجمة عن الترويج للجنس وللعنف بعيدا عن كل الضوابط الأخلاقية وحتى المنطقية أدركنا حجم المخاوف التي تحيط بعالمنا الإنساني كله، من جراء هذا التهميش الذي تتعرض له القيم الأخلاقية .

الفكر والفلسفة: جند أرباب العولمة مفكريهم لترسيخ معتقدات وهمية تسعى لتحطيم الروح الفكرية والفلسفية لدى مفكري العالم الثالث وبشروا بانتصار القيم والمبادئ الرأسمالية على حساب كل الأنظمة السائدة، وقد استغل الأمريكان تفوقهم المادي والعسكري والتقني، ليفرضوا نمطا فكريا يقوم على مبادئ المنفعة والحرية والفردية ويروجوا لثقافة غربية تمتدح الفكر الليبرالي. وتعمل على تأسيس عالم دون دولة، أو وطن أو أمة.

التاريخ : في ظل المتغيرات السريعة التي أعادت النظر في المفاهيم القديمة، تتأثر الهوية التاريخية للشعوب بما تفرضه مقتضيات العولمة، التي تفرض تفسيرا وبديهي أن يتأثر التاريخ العربي جديدا للتاريخ يتناسب مع أطروحات العولمة والإسلامي لرياح العولمة العاتية في الوقت الذي لم يصف المؤرخ العربي معركته مع التاريخ الاستعماري الذي مازال يتبجح بالدور الحضاري والتعميري للمحتل اعتمادا على الأكاذيب والتحريفات التي تضمنتها بعض الكتابات التاريخية، وإذا كان التاريخ الاستعماري قد عمل على تشويه الهوية الوطنية للشعوب بعد ما تمكن من اختراقها، هاهو التاريخ الكوني الذي تحمله العولمة يحاول تجاوز هذه الهويات

عنوان المقال: الخطاب الإعلامي لقيم العولمة بين التضليل والحقيقة

واعتقد انه سينجح في مهامه مادام المثقف العربي لا يزال و إلغاء خصوصياتها. قابعا في الهامش ،والمستهلك لمنتج الأخر فضلا عن صراعه مع ذاته لتحقيق هويته وبلورته لنظرته للمستقبل. ويتحدث احد الباحثين عن التاريخ العربي في عصر العولمة فيقول:

"ان مصادر المعرفة في نظام العولمة تخضع لتحكم الشركات التجارية، وهذا يعني أن التاريخ العربي كجزء من نظام المعرفة يصبح بدوره مجرد سلعة ينطبق عليها من الأحكام والإجراءات ما ينطبق على سواها من السلع المادية فيخضع إنتاج التاريخ العربي بكتبه وندواته وأفلامه لقانون العرض والطلب، ، لذلك سيتعرض التاريخ العربي مع سيادة العولمة لتشويه وافتراءات لا تقل عن الافتراءات التي لصقت به منذ القرن 19 مع الدراسات الاستشراقية، وسيستقبله الغرب بهذه الصورة المزيفة لأن تأثير الإعلام وقوة وسرعة نفاذه لا يخفى على أحد."

الفنون: تركز ثقافة العولمة على ثقافة الصورة أكثر من ثقافة المكتوب وبما أن الصورة تكتسي سلطة رمزية قوية على صعيد الإدراك الثقافي العام، فإن النظام السمعي-البصري يصبح المصدر الأقوى لإنتاج القيم وتشكيل الوعي والوجدان، على اعتبار أن " الصورة هي اليوم المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد، نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم. إنها المادة الثقافية الأساس التي يجري تسويقها على أوسع نطاق جماهيري : وهي تلعب في إطار العولمة الثقافية الدور نفسه الذي لعبته الكلمة في سائر التواريخ الثقافية التي سلفت فلا تحتاج الصورة دائما إلى المصاحبة اللغوية كي تنفذ إلى إدراك المتلقى" **عبد الإله بلقزيز، 1998، ص:19**..

إسم ولقب المؤلف عبد القادر تومي

اللغة : لا يختلف اثنان في أن اللغة التي فرضت وجودها وانتشرت بسرعة فائقة هي اللغة الانجليزية، "فحوالي ثلث سكان العالم يستخدمون اللغة الانجليزية".

ويعود السبب في ذلك إلى قرون الاستعمار الانجليزي ،ودور الإعلام في الترويج لهذه اللغة، بالإضافة إلى استخدام هذه اللغة في مختلف المحافل الرسمية التابعة للمنظمات الدولية. وقد صاحب انتشار اللغة الانجليزية انتشار للثقافة والقيم الاستهلاكية الأمريكية على نطاق واسع خاصة الأغاني والموسيقي الأمريكية التي دفعت الشباب لتعلم اللغة الانجليزية وهي الأداة الموصلة للقيم الغربية مادامت اللغات الأخرى لم يستطع أصحابها منافسة هذه اللغة.

العادات والسلوك: تسعى العولمة أيضا إلى تسطيح الوعي ،فهي ترسم "حدودا" أخرى غير مرئية تحددها الشبكات العالمية قصد الهيمنة على الأخلاق والنفس والسلوك، فيتم بموجبه إخضاع النفوس والتشويش على نظام القيم وقولبة السلوك.

الخاتمة

في الختام نستخلص أن الخطاب العولمي وظف إعلاما اديولوجيا وسوق قيما عولمية، وقدم خدمة عالية للمعولمين وروج لأفكارهم فاستبدل الثقافات بثقافة العولمة و القيم الوطنية بالقيم الكونية والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك المعرفي يشمل ما يطلق عليه المفكر المغربي محمد عابد الجابري "ثقافة الاختراق" ، وتستغل هنا وسائل الاتصال على مختلف أنواعها في تعميم السلوكيات الغربية على غيرها.

عنوان المقال: الخطاب الإعلامي لقيم العولمة بين التضليل والحقيقة

المراجع

- **محي محمد، مسعد ظاهرة العولمة ،الأوهام و الحقائق، مكتبة الاشعاع.**
- **لسيد ولد أباه، اتجاهات العولمة، إشكالات الألفية الجديدة ، .**
- **عبد الإله بلقزيز، "العولمة و الهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة" مجلة المستقبل العربي، العدد 229، 1998.**
- **جعفر حسن عتريسي، العولمة والعالم، إدارة وأدوات . دار الحجة البيضاء بغداد الطبعة الأولى 2001**

- Jacques PERRIN , les transferts de la technologie, éditions la découvert, Paris , 1984,
- **-DAVID.ROTHKOPHY «in praise of cultural imperialism". Foreign policy summer-1997.**
- **- Nye S. Joseph, Owens William A., « America's Information Edge », in Foreign affairs, mars-avril 1996,**
- **Philippe Raymand, et Stéphane Rials, (sous la direction) « Dictionnaire de philosophie » ,1ER édition Quadrige 2003 Paris 393**